

اشكالية المعنى في شعر امرئ القيس والناطقة الذباني الدلالة الرمزية لليل (أنموذجاً)

م. د. شيما محمد كاظم الزبيدي

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية

shamaaalzobaydyey@yahoo.com

المقدمة

النص فضاء مفتوح يحتمل التأويل والتعدد، وعلى وفق هذا التأويل تتعدد قراءات النص الواحد على صعيد العصر ذاته الذي نشأ فيه النص، وربما تتعداه الى العصور اللاحقة لعصر نشأته. كيف وهذه الحال مع النص الجاهلي الذي يعد نصاً يواحاً يمتلك القدرة على إثارة الدارسين ومن ثم حثهم على قراءته مرة بعد أخرى رغبة في الوقوف على علاماته ووظائفه الشعرية لا لكونه يتسم بالتمويه والغرابة ولكن لأنه كما هو ملحوظ متربّع على محور الكون الشعري؛ فهو يضع الدارسين أمام تحديات كبيرة ومتعددة في الكشف لغزارة دلالاته وعميق موضوعاته.

وفي هذا البحث نحاول تسليط الضوء على إحدى الوحدات التعبيرية التي تتجلى فيها الاشكالية بوضوح وهي (الدلالة الرمزية) إذ احتلت هذه الوحدة مكانة في الخطاب الشعري الجاهلي إلى جانب العديد من الوحدات التعبيرية الأخرى المفعمة بدلالاتها المعنوية وإحياءاتها الصورية.

وهذه الوحدات مهما عظم أو صغر حجمها على السواء تظل حاملة لأسباب ديمومتها وأسرار انبعاثها على نحو يبينه سياقها الشعري الذي تنتظم فيه والذي تشكّل عبر خصائص توصيلية أسهم في اكتمالها كل من الشاعر (الباث) والمتلقي (المستقبل) معاً.

والبحث قد ورد على محورين هما:

الاول: مدخل لفهم اشكالية المعنى.

الثاني: توضيح لمفهوم الدلالة ومفهوم الرمز وعلاقة كلٍ منهما بالآخر على اعتبار أن البعد الدلالي الرمزي محور لرصد الاشكالية متمثلاً بدلالة رمزية معينة هي (الدلالة الرمزية لليل) عند شاعرين من فحول الشعراء في الجاهلية ، هما امرؤ القيس الذي يعد الحاضنة الثقافية لهذا الصرح الضارب والشاعر الآخر هو النابغة الذباني.

ثم الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: اشكالية، الشعر الجاهلي، الوحدات التعبيرية، دلالاتها المعنوية، إحياءاتها الصورية.

Abstracts

The text is an open space could have the probcebility of interpretation, and multiplicity. According to this interpretation, the readings of a certain text could be multiplied within the era at which the text composed, it may be also muliplied within the eras that tollow. So what about this case regarding the jahili text, which considered as a revealing text, having the ability to evoke the readers then to urge them to read it many times, desiring to reveal its signs and poetic functions, Not because as specified, disguised and otrange, nut because as it is noticed where the text dominating on the pivot of poetic universe. The text put the readers upon great and multiple challenges to reveal. That is because the text got copious connotations and deep themes.

The research intends to highlights one of the expressive units, in which the problem revealed clearly, since it is ((symbolic connotation)) that occupies a

respected spot in the jahili poetic discourse, beside to many other expressive units that is full of it's moral connotations and picturesque intimations .

Key words: Problematic, pre-Islamic poetry, expressive units, the moral implications, hints Alorih

أولاً: مفهوم اشكالية المعنى

إنَّ المعنى الواحد لم يعد قائماً على نحوٍ حاسم في العبارة الأدبية بل بات ينتقل في مواضيع مختلفة^(١) ليس من البساطة تحديد المعنى فيها بما يحمله المؤلف في ذهنه ولا هو مجرد خصيصة للنص أو تجربة القارئ بل انه تجربة فاعل وخصيصة نص^(٢). فأحياناً نورد المعنى المنطوق الذي قصده المتحدث، وأحياناً نشير إلى مايكمن في خفايا النص، نقول أحياناً أخرى إنَّ السياق يحدد المعنى، وأحياناً نعزوه إلى تجربة القارئ، انه معقد ومتداخل ومن الصعب تحديده من قبل عامل واحد^(٣)

وهذا الأمر يحيلنا على الأصل اللغوي لمصطلح الاشكالية وهو "ما استشكل الأمر: التبس وعليه: أورد علي اشكالا (...) والإشكال: الامر يوجب التباساً في الفهم"^(٤).

وهذا الفهم يفتح آفاقاً لمدلولات جديدة تنبثق من حقول اشتغال عديدة يتركز معها مفهوم الاشكالية ليكون "القضية التي تجمع بين المتناقضات"^(٥).

وعلى أساس هذا يمكن القول أنَّ مفهوم إشكالية المعنى ينبثق من "الرغبة في تقديم رؤية مختلفة في القراءة، إذ إنَّ النصوص الشعرية تتسم بقدرتها على أن تكون قابلة لقراءات متعددة، إذ تقف كل قراءة على بعد في النص لم يقف عليه الآخرون"^(٦).

ويرى البعض أنَّ "العمل الفني لا ينضب معينه ولا تنتهي قراءته، فالمتلقي حين يعاود قراءة العمل يزداد سعة في معرفته، وتتكشف له أسرار لم تتكشف في القراءة السابقة، وحين يوجّه رموزه وعلاماته. يميل إلى توجيه ما، وحين يمسك ذلك العمل شخص آخر قد يوجه تلك العناصر توجيهاً ينسجم وأدواته المعرفية، فيخرج بتأويل مختلف نسبياً – أو كثيراً – عما سبقه من تأويل"^(٧). لذا فإن قراءة النص الشعري تتطلب من (القارئ) جهداً موازياً لجهد الشاعر في نصه ورؤيا مقارنة لرؤياه.

وبهذا تكون رؤيا الشاعر في نصّه قاسماً مشتركاً بينه وبين القارئ فيثير النص في القارئ نظير ما أثاره في مبدعه تجارب خاصة الا انها متعددة على تعدد القراء وتنوع تجاربهم فيصبح كل من القارئ والمبدع شريكين في استلهاهم المعنى وترتيب عناصره، وتشكيل علاقاته، وتمثّل أبعاده، ويسفر عن هذا الأمر تحوّل في الرؤيا من

(١) ينظر: امرؤ القيس الكنعاني (قراءات في شعر عز الدين المناصرة)، اعداد وتحرير عبد الله رضوان، مؤسسة شومان، الاردن، ط١، ١٩٩٦: ٢٩٣.

(٢) ينظر: اللغة والمعنى والتأويل، جوناثان كلر، مجلة الاداب الاجنبية، دمشق، ع ١٠٩، ٢٠٠٢: ٢٧.

(٣) ينظر: اللغة والمعنى والتأويل: ٢٥.

(٤) المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، دار المعارف، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦: ٤٩١/١.

(٥) معجم المصطلحات الادبية الحديثة، محمد عناني، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦: ٨.

(٦) النص وإشكالية المعنى، عبد الله محمد العضيبي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩: ٤٩.

(٧) بحث بعنوان (النص الشعري والتأويل)، د. سامح الرواشدة، ضمن كتاب (جرش ٩٩)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠: ١٧١.

الذاتية الى الموضوعية مما يساعد المتلقي والناقد -أيضاً- على الدخول إلى عوالم الذات البشرية واستتعار ما فيها من مُخبأ أو مستور^(١) .

وهذا يؤدي بطبيعة الحال الى "إمكانية تجديد الرؤيا تبعاً للتجديد المستمر في العقول عن طريق تطوير الثقافة، وصلل الانواق وتحصيل المعارف المبتكرة كل يوم. فالشعر ذو معنى يتجدد بمرور الايام، لان العقول التي تستنطقه يختلف بعضها عن بعض لاختلاف الازمان والعصور"^(٢).

ودراسة الشعر الجاهلي على وفق رؤى الحداثيين "تبشر بتواصل حميم مع التراث (...)" تجعل من الشاعر نموذجاً للابداع الإنساني الباقي، يستوي في ذلك البدائي والحضري"^(٣)، مما يجعل الشعر "ثمرة البداوة والحضارة معاً؛ لأنه نتاج اللحظات الخصبة التي يعرفها كل جيل"^(٤).

وللشعر معنى خالد يدرك منه كل جيل قدراً يتناسب وعقليته ويتوافق مع درجة احساسه بالاشياء الا أنَّ خلود هذا المعنى لايفسر على أنه تحجيم للمعنى الشعري بل إنَّ هذا الامر يجعل المتلقي حافزاً لاستتعار المعنى الابعد لمعاني الشعر"^(٥).

وقد اكتسب مصطلح الاشكالية أساساً معرفياً شاملاً طال كل الحقول المعرفية وتدخل في كل المعطيات الفكرية لذا فهو مصطلح معرفي متعدد، اتصاله الوثيق يكمن في المعنى، إذ "إن اشكالية المعنى المتعدد لم تعد اليوم إشكالية التفسير بمعناه الديني او حتى بمعناه الدنيوي فقط، إنما هي في ذاتها إشكالية ذات طابع يخص فروعاً علمية متعددة"^(٦).

وهذا الامر يحيل على القراءة البشرية أو المقاربات النقدية الواعية وهي من أهم الاسباب التي جعلت من المعنى الادبي متنوع المظاهر، مختلف الانماط"^(٧). لذا فإنَّ هذا التنوع هو ما يجعل المعنى الأدبي خصباً ومتمرداً في الوقت ذاته وقادراً على ان يلم بكل خصائص العملية الإبداعية"^(٨) إلا أنَّ تنوعه لا يكون بالضرورة متصلاً -في تفسيراته- بالمعنى الذي كان يعلقه الاديب في ذهنه تعليقاً واعياً"^(٩).

وبعد أن حددنا مفهوم (اشكالية المعنى) سنحاول في الصفحات اللاحقة توضيح الدلالة الرمزية لليل عند كل من امرئ القيس والناطقة الذبياني، يسبقها تعريف بمفهوم الدلالة ثم مفهوم الرمز، ومن ثم توضيح العلاقة بين المفهومين معاً.

(١) ينظر: جماليات المعنى الشعري (التشكيل والتأويل)، د. عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩: ٢٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣٦.

(٤) قراءة ثانية لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، دار النجاح، بيروت، د.ط، ١٩٧٣: ١٨.

(٥) ينظر: جماليات المعنى الشعري: ٣٦.

(٦) ليل المعنى في الكتابة والنقد، مصطفى الكيلاني، مجلة الفكر العربي، مركز الانماء القومي، بيروت، ع١١٦-١١٧، ٢٠٠١: ٩٣.

(٧) فلسفة المعنى في النقد العربي المعاصر، المشرق العربي (١٩٤٥-١٩٩٠)، لواء عبد الله عبد المنعم الفوزان المسعودي، اشراف الدكتور سعيد عدنان المحنة، جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية للنبات، ٢٠٠٠: ٦٦.

(٨) ينظر: اشكالية المعنى في الشعر العربي الحديث -دراسة في المتن السياحي، يحيى شايف ناشر الجوبي، اطروحة دكتوراه، اشراف أ.د. ابراهيم جنداري جمعة، جامعة الموصل، كلية التربية، الموصل، ٢٠٠٣: ٢٩.

(٩) ينظر: دراسة الادب العربي، مصطفى ناصف، دار الاندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١: ١٣٥.

ثانياً: العلاقة بين مفهومي الدلالة والرمز، دراسة تطبيقية لرصد الاشكالية :
* مفهوم الدلالة :

وله جملة من التعاريف فبعضهم يراه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو هو فرع من علم اللغة يتناول دراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى^(١) . والتعريف الأخير يجعل لعلم الدلالة موضوع قوامه أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، وهذه العلامات أو الرموز ربما تكون علامات أو رموز بعضها يأخذ حيز الإشارة مثل إيماء الرأس وبعضها الآخر يأخذ صورة كلمات وجمل. وعلم الدلالة في حقيقته يركّز على دراسة الرموز اللغوية على اعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان على الرغم من إهتمامه بالرموز الواقعة خارج النطاق اللغوي^(٢).

* مفهوم الرمز

الرمز "يعبر بدوره عن شيء ما، أو يشتمل على مدى من الدلالات تتجاوز حدود ذاتها"^(٣). ويرى البعض أنّ الرمز في إجماله مشاعر عميقة ينبع منها العمل الفني^(٤)، ومنهم من يرى ان كلمة ما تحتفظ بقدرتها على اثارتنا فهي لاتزال رمزاً، أما إذا فقدت هذه القدرة فإنها تتدهور وتصبح مجرد إشارة^(٥).

وربما يحيلنا هذا الأمر على قول ابن طباطبا حول اشعار العرب قديماً "ربما خفي عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم، في حالات يضعونها في اشعارهم، فلا يمكنك استنباط ماتحت حكاياتهم، ولا تفهم مثلها الا سماعاً فإذا وقفت على ما أراده لطف موقع ما تسمعه من ذلك عند فهمك"^(٦).

وزيادة على ذلك إنّ الرمز يعطي ميزة (التنوع والشمول) للنص الأدبي فمن الممكن التعبير عن معنى واحد بلغات مختلفة أو التعبير عن فكرة ما في حدود لغة واحدة بمصطلحات مختلفة^(٧).

لذا فان علم الرمز يضم كثيراً من فروع علم اللغة ومنها الدلالة وهو من الناحية الدلالية أعم من علم الدلالة لأن الأخير يهتم بالرموز اللغوية فقط، أما علم الرمز فهو يهتم بالعلامات والرموز لغوية كانت ام غير لغوية^(٨). وإذا ما أردنا تطبيق هذه الموضوعات (الدلالة الرمزية) على القصيدة الجاهلية تطالعنا نصوص كثيرة ارتأينا منها استكناه (الدلالة الرمزية لليل) عند الشاعرين امرئ القيس والناطقة الذبياني كأنموذجين لهذا الكم من النصوص الجاهلية، علماً أنّ هذه الدلالة قد تختلف من قراءة الى أخرى، فربما تكون عند أحد الشاعرين ذات مقصود معين قد لاتكون عنده في موضع آخر من شعره، وأحياناً كثيرة قد لاترد على الدلالة الرمزية ذاتها عند

(١) ينظر : علم الدلالة، أ.د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٩ : ١١.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١١-١٢.

(٣) في حداثة النص الشعري-دراسة نقدية، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق، الاردن، ط١، ٢٠٠٣ : ٤٥.

(٤) ينظر : بحث في علم الجمال، جان برتلمي، ترجمة: أنور عبد العزيز، دار النهضة، مصر، د.ط. ١٩٧٠ : ٥٦٧.

(٥) ينظر : نظرية البنائية في النقد الادبي، د. صلاح فضل، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥ : ٤٥٩.

(٦) عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تح: طه الحاجري، محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ط. ١٩٥٦ : ١١٠.

(٧) ينظر :جماليات النص الادبي دراسات في البنية والدلالة، د. مسلم حسب حسين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٧، ٢٠٠٧ : ٨١.

(٨) ينظر : علم الدلالة : ١٥.

آخرين فـ " الليل ذلك المجهول الاعظم الذي وقف عنده الأدباء والفلاسفة متأملين" (٢) له من الدلالات ما يقف الإدراك عاجزاً امام اللاحودها.

فهذا أمرؤ القيس يورد لفظة (ليل) ما يقارب عددها سبعاً وثلاثين (٣٧) مرة في ديوانه مؤزعة بين (ليل، ليالي، ليلة) (١). إلا أنَّ الدلالة الرمزية لليل لديه ترها تتحقق في عدد من قصائده ومنها قوله في قصيدته (قفا نيك) (٢):-

وليل كموج البحر أرخى سدولهُ عليّ بانواع الهموم ليبتلّي
فقلْتُ له، لما تمطى بصلبه وأردفَ أعجازاً وناءً بكلكل
الا أيها الليل الطويل ألا أنجلي بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه بأمراسِ كتانٍ الي صمَّ جَنَدِل
ويروى (٣):

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مُغارِ الفتل شُدّت بيزبِل
كأن الثريا غلَّتْ في مضامِها بأمراسِ كتانٍ الي صمَّ جَنَدِل

فالشاعر في هذه الأبيات يربط " بين السكون الذي يحسّه في نفسه وبين سكون الليل، وبين وحشته ووحشة الليل، بين الحياة التي تتبض في عروقه والنجوم الحية النابضة في سديم الليل" (٤). فالليل بطوله " يُنبئ عن مقاساة الأحزان والشدائد والسهر المتولّد منها" (٥). وإمتداد الليل ماهو إلا دلالة رمزية على إمتداد معاناة الشاعر واستمرار لمقاساته للأحزان.

لذا فإنَّ الليل عند الشاعر يتحوّل إلى ليل نفسي ذاتي مليء بالهموم والآلام، ويشكّل مصدر ابتلاء ومحنة الشاعر (٦). وهو عنده دلالة رمزية " للوحشة والرهبّة والخوف (...) والموت عند إقباله وهو الحياة والأمل والسعادة عند إدباره وإنبلاج فجره" (٧). ويراه "أثجاج موج متلاطمة تسبب له الخوف والعناء. ونلاحظ أنَّ الشاعر يعمد الى أنسنة الليل لعله يجد صوتاً متجاوباً مع رغبته في الخلاص من إيسار الزمن، بيد أنَّ طلب الشاعر أو تمنّيه بالجلء الليلي ينمّ على حلم بزوال عالم الظلام وظهور عالم الضياء" (٨).

(١) العزف على وتر النص الشعري دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية، أ.د. عمر محمد طالب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٠: ٢٨.

(٢) ينظر ديوان أمرؤ القيس، حققه وبوّبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، د.ط، ٢٠٠٥: ٥٧، ٦٤، ٩١، ٩٢، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٧، ١٧٦، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٧٨، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٨، ٣٧٥، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٨.

(٣) الديوان نفسه: ٤٢-٤٣.

(٤) الديوان نفسه: ٤٣.

(٥) العزف على وتر النص الشعري: ٢٩.

(٦) ديوان امرؤ القيس: ٤٢.

(٧) ينظر: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهل نموذجاً، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٤: ٢١١.

(٨) العزف على وتر النص الشعري: ٢٩.

(٩) جماليات التحليل الثقافي: ٢١١ - ٢١٢.

وكأن ليلة " حيوان خرافي عظيم الخلقة، لعله من مخلفات الأساطير القديمة والعبادات الوثنية. وكأن هذا الحيوان الخرافي الهائل يجثم على صدره ويضيق تنفسه ويشعره بدنو أجله أو دنو الموت منه" (١). وفي هذا الأمر نلاحظ أن ثمة علاقة بين دلالة الرمز والأسطورة علماً " أن الرمزية ليس ضرورياً أن تتم دائماً عن الأسطورة على نقيض الأسطورة التي تشكل دائماً جزءاً من الرمزية" (٢).

فالليل بوصفه زمناً عند امرئ القيس أضحى معادلاً لوضعه النفسي، إذ لم يعد زمناً عادياً بل أصبح زمناً انفعالياً بسبب قسوة الحياة وقسوة الزمن أيضاً. ويعزز الشاعر إحساسه النفسي المعادل لحال الليل ما أورده في قصيدة له يصف فيها ليلة من لياليه قائلاً (٣):

أَرِقْتُ فَقُلْتُ فِي أَرْقِ الْعِدَادِ

عِدَادَ مَوْلِي أَرْقِ السَّهَادِ

فَبِتُّ بَلِيلَةً بَتَّتْ هُمُومِي

بِهَا، مِنْ طَوْلِ حَالِكَةِ السَّوَادِ

رَعَيْتُ نَجْمَهَا حَتَّى اسْتَقَلَّتْ

تَوَالِيهَا بِغَيْرِ سِيَاقِ حَادِ

أَشْـبَّهَهَا مَقَامِ أَوَّلَتِي وَقُومِي،

إِذَا نَيْسُوا السَّنَوْرَ لِلْجِلَادِ

والدلالة الرمزية لليل في شعر امرئ القيس ربما لا تكون هي ذاتها أعلاه في مكان آخر في شعره فقد تدل على رضاء النفس عند الشاعر فيرى ليله مُستأنساً باعثاً على التناول في الروح ومثل هذا الأمر يطالعنا في قوله: (٤).

وَقَدْ أَتَمْنَى فَأَلْقَى الْمُنَى،

وَقَدْ يُضْبِحُ اللَّيْلُ عِنْدِي حَمِيدَا

وكذا الحال مع الشاعر (الناطقة الذبياني) فعلى الرغم من إيراد اللفظة (ليل) في ديوانه موزَّعة - مثل امرئ القيس - بين (ليل ، ليال ، ليلة) وما يقارب عشرين (٢٠) مرة (٥)، إلا أنَّ الدلالة الرمزية لليل قد تشكلت في قوله: (٦):

وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

كَلِينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبِ

وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبِ

تَطَاوَلَ حَتَّى قَلْتُ: لَيْسَ بِمَنْقُضِ

تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وَصَدْرُ أَرَاكِ اللَّيْلِ عَازِبِ هَمِّهِ

(١) العزف على وتر النص الشعري: ٢٩.

(٢) حركة النقد العربي الحديث في الشعر الجاهلي. د. ريم هلال، اتحاد الكتاب العرب، د. ط، ١٩٩٩: ٥٧.

(٣) ديوان امرئ القيس : ٣٢١.

(٤) الديوان نفسه: ٣٤٧.

(٥) ينظر: ديوان الناطقة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة، ط٣، ١٩٩٠: ٣٣، ٤١، ٥٨، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٨٣، ١٠١، ١٠٧، ١٢٠، ١٣٥، ١٣٩، ١٦٤، ١٨٢، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٢.

(٦) الديوان نفسه: ٤٠-٤١.

عليّ لعمر ونعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب
فالنابعة في ليله يشير إلى الدلالة الرمزية لعالم السلطة السياسي القاسي الذي طالما اکتوى الشاعر بناره
وهو لا يستسلم لهذا العالم السلطوي وإنما ينخرط فيه بفعل قوة الحب الموجّه إلى (أميمة).

وهذا العالم السياسي في رؤية النابعة عالم سلمي سوداوي تتعدّم فيه جذوة الحياة والنور^(١) كما هو واضح
في الشطر الثاني من البيت الأول، وهو عالم مسبب للحزن والهموم نتيجة تطاوله ، لذا فإن دلالة الليل عنده
تكون مقترنة بتصوره لتسلط السلطة السياسية وجبروت وجودها الزمني، ويتجسد هذا الأمر عن كثب في إعتذاره
من النعمان بن المنذر، قائلاً^(٢):

فإنك كالليل الذي هو مُدركي **وإن خلت أن المنتأى عنك واسع**

ومما سبق نتبيّن أن الشعر الجاهلي - كما يراه عدد من الباحثين - حافل بالكثير من الدلالات الرمزية،
فالمرأة ترمز إلى الشمس وكذلك الفرس، والناقة رمز إلى الإرادة الإنسانية التي تقتحم الأهوال من أجل تحقيق
الآمال ، والثور الوحشي رمز إلى القوة التي تحتل قسوة القدر وأذى الآخرين، والطلل يرمز إلى ما تخلفه رحلة
الشمس على الإنسان^(٣).

إذ الصورة الطليّة على سبيل المثال لم تعد " مجرد وقوف على الدمن والرسوم وإنما هي في الوقت نفسه
وقوف على الشخصية الإنسانية المقهورة ورثاء للحضور الإنساني الذي هزمته البيئة في نهاية الأمر ، إنها
تصوير للصيرورة المحزونة التي تعجز فرداً كان أو جماعة عن الإفلات من قبضتها"^(٤)، ويتجلى هذا الأمر في
قول أحد الشعراء^(٥):

ألا، ياديار الحيّ، بالبردان **خلت حججٌ، بعدي، لهن، ثماني**
فلم يبق، منها، غير نؤي مهدم **وغير أوار كالريحي، ودفان**

فما نلاحظه في أبيات الشاعر أن دلالة الطلل لم تعد " محض تقليد فني فرضته التقاليد التراثية (...) إنها
أكثر من رمز شعري ، إنها الرموز المتجددة في ذهن الشاعر والتي تعبر عن ارتباطات شتى ومكونات عديدة
وتصورات مختلفة ذهنية وعقلية ونفسية واجتماعية ترتد جميعها إلى عالم الذكريات، وهي باختصار رمز أضمر
كل ماتطوي عليه الأعراض وتتجه إليه المقاصد"^(٦).

وزيادة على ذلك أن من الباحثين من يجد أن أسماء النساء قد تناولها الشاعر الجاهلي على نحو دلالي
رمزي فأوحت سلمى بالدلالة الرمزية للحب العفيف ، وسعاد بالربيع، وأم أوفى ومن جاء على شاكلتها بسيدة
الحكمة ولا تخاطب إلا في الأمور الجليّة التي يحتاج فيها المرء إلى سعة الصدر^(٧)، إلى آخر الرموز والدلالات
وتنوّعها وتشاكلها كلّ بحسب مقام وروده في النص بالتوافق مع رغبة الباحث في طرحه.

(١) ينظر: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً: ٢١٣.

(٢) ديوان النابعة الذبياني: ٣٨.

(٣) ينظر: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الاقصى، عمان، د.ط، ١٩٧٦: ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩.

(٤) في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د. أحمد محمود خليل، دار الفكر ، دمشق ، سوريا، ط١، ١٩٩٦: ١٤٧، وينظر:
قرءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، د. موسى ربابعة، مكتبة الكتاني، أربد- الأردن، د.ط، ٢٠٠٠: ١٣٥.

(٥) شرح اختيارات المفضل الضبي، صنعة التبريزي، تح: فخر الدين قباوه، بيروت، د.ط، ١٩٨٧: ١١٤٨-١١٥٠.

(٦) دراسات نقدية من الشعر العربي، د. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢: ٣٧.

(٧) ينظر: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث: ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤.

الخاتمة

إنّ تتبعنا لهذا الموضوع جعلنا نصل إلى أنّ إشكالية المعنى قد انفجرت عن قراءات متنوعة للنص الشعري الجاهلي على نحو ما ألقيناه في تحليل الدلالة الرمزية لليل عند كل من امرئ القيس والنابغة الذبياني، وهذه القراءات على الرغم من تعدد المعنى فيها، ربما يغادر الشاعر معها مقصوده في نص ما إلى آخر للشاعر نفسه، وربما يتعداه إلى غيره من الشعراء المعاصرين له.

ويمكن السر في ذلك إلى أنّ لكل باحث في متن النص الشعري أدواته المعرفية التي تتفق ورؤيته الخاصة في هذا النص الشعري أو ذاك.

وعلى وفق ما هو سائد من نظريات نقدية فإنّ النص الشعري قد أصبح فضاءً رحباً يحتمل التأويلات العديدة والمتنوعة ويفجر طاقات المعنى الشعري، الأمر الذي يسهم في تقدّم العملية الإبداعية وازدهارها، ويسهم بشكل فعال في نمو الخطاب الشعري.

المصادر والمراجع

- ١- امرؤ القيس الكنعاني (قراءات في شعر عز الدين المناصرة)، اعداد وتحرير عبد الله رضوان، مؤسسة شومان، الاردن، ط١، ١٩٩٦.
- ٢- بحث في عالم الجمال، جان برتلمي، ترجمة: أنور عبد العزيز، دار النهضة، مصر، د.ط، ١٩٧٠.
- ٣- جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجاً، د. يوسف عليّات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الاردن، ط١، ٢٠٠٤.
- ٤- جماليات المعنى الشعري (التشكيل والتأويل)، د. عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- ٥- جماليات النص الادبي دراسات في البنية والدلالة، د. مسلم حسب حسين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢٠٠٧، ١.
- ٦- حركة النقد العربي الحديث في الشعر الجاهلي، د. ريم هلال، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، ١٩٩٩.
- ٧- دراسات نقدية في الشعر العربي، د. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢.
- ٨- دراسة الادب العربي، مصطفى ناصف، دار الاندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١.
- ٩- ديوان امرئ القيس، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته: حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت، د.ط، ٢٠٠٥.
- ١٠- ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٧٧.
- ١١- شرح اختيارات المفضل الضبي، صنعة التبريزي، تح: فخر الدين قباوة، بيروت، د.ط، ١٩٨٧.
- ١٢- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن، مكتبة الاقصى عمان، د.ط، ١٩٧٩.
- ١٣- العزف على وتر النص الشعري دراسة في تحليل النصوص الادبية الشعرية، أ.د. عمر محمد طالب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٠.
- ١٤- علم الدلالة، أ.د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٩.
- ١٥- عيار الشعر، محمد بن احمد بن طبابا العلوي، تح: طه الحاجري، محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ط، ١٩٥٦.

- ١٦- في حادثة النص الشعري - دراسة نقدية، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق، الاردن، ط٣، ٢٠٠٣.
- ١٧- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د.احمد محمود خليل، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط١، ١٩٩٦.
- ١٨- قراءات اسلوبية في الشعر الجاهلي، د. موسى رابعة، مكتبة الكتاني، اربد-الاردن، د.ط، ٢٠٠٠.
- ١٩- قراءة ثانية لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، دار النجاح، بيروت، د.ط، ١٩٧٣.
- ٢٠- كتاب (جرش ٩٩)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- ٢١- معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
- ٢٢- المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، دار المعارف، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦. الجزء الاول.
- ٢٣- النص وإشكالية المعنى، عبد الله محمد العضيبي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.
- ٢٤- نظرية البنائية في النقد الادبي، د. صلاح فضل، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.

الرسائل الجامعية والدوريات

الرسائل

- ١- اشكالية المعنى في الشعر العربي الحديث -دراسة في المتن السياحي، يحيى شايف ناشر الجوبي، اطروحة دكتوراه، اشراف أ.د. ابراهيم جنداري جمعة، جامعة الموصل، كلية التربية، الموصل، ٢٠٠٣.
- ٢- فلسفة المعنى في النقد العربي المعاصر، المشرق العربي (١٩٤٥-١٩٩٠)، لواء عبد الله عبد المنعم الفوزان المسعودي، اشراف: د.سعيد عدنان المحنة، جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية للبنات، ٢٠٠٠.

الدوريات

- ١- ليل المعنى في الكتابة والنقد، مصطفى الكيلاني، مجلة الفكر العربي، مركز الانماء القومي، بيروت، ع١١٦-١١٧، ٢٠٠١.
- ٢- اللغة والمعنى والتأويل، جوناثان كلر، مجلة الاداب الاجنبية، دمشق، ع١٠٩، ٢٠٠٢.